

الجهل نوعان

الجهل نوعان : نوع يعذر به صاحبه ، ونوع لا يعذر به ، حقيقة جهلها الكثيرون قال ابن القيم : { وَقَالَ سُبْحَانَهُ } وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَهُ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصِدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنْ مِنْ ابْتِلَاءِهِ بِقَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَالِهِ بِهِ ، { إِنَّمَا كَانَ يَنْسِبُ إِعْرَاضَهُ وَعِشْوَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكَانَ عُقُوبَةَ هَذَا الْإِعْرَاضِ أَنْ قِيضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقَارِنُهُ فَيَصِدُّهُ عَنِ سَبِيلِ رَبِهِ وَطَرِيقِ فَلَاحِهِ ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ، حَتَّى إِذَا وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ ، وَعَايِنَ هَلَاكَهُ وَإِفْلَاسَهُ ، قَالَ : { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبئْسَ الْقَرِينُ } وَكُلٌّ مِنْ أَعْرَاضِ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ قَلْبًا بَدُّ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

{ وَإِنْ قِيلَ قَهْلٌ لِهَذَا عَذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هَدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } قِيلَ : لَأَعَذْرُ لَهُذَا وَأَمثَالِهِ مِنَ الضَّلَالِ الَّذِينَ مَنْشَأُ ضَلَالَتِهِمْ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ؛ فَإِنَّهُ مَفْرُطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اتِّبَاعِ دَاعِيِ الْهَدْيِ ، فَإِذَا ضَلَّ قَائِمًا أَتَى مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ ، وَهَذَا يَجْتَلِافُ مِنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُضُوعِ إِلَيْهَا ، قَدْ أَكَّ لُهُ حُكْمٌ آخِرٌ ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ { إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلُ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } وَقَالَ تَعَالَى { رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } وَقَالَ تَعَالَى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ } أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ لَعْنَةً يَا كَذِبْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ . مَفْتَا ح دَار السَّعَادَةِ (1/208) .